واجتماعي . فان امرؤاتاكم معترفا بمرضه مستشفيا من دائه فانظروا ماذا ينفعه من العمل ومروه ان يأخذ من العلم مايلزم لاصلاح العمل . وان كان مهملا ولم يشأ ان يعمل عملا صالحا للنفس والمجتمع فانظروا ان تبيده الاقوياء غير مشكور . وان أمة صدت عن النذر ، وكفرت بالسنن . فالتمسوا منها مخرجا ان كنتم فيها وقوا أنفسكم البوار انهم قوم بور .

ع . ز

باب التربية والتعليم

درس عام في العلم الاسلامي والتعليم

(العلوم الاسلامية)

ومن هنا يمكنني أن أتخلص الى الكلام على حالتنا في تحصيل العلم في جميع بلاد الاسلام وهو موضوعنا فنقول

عندنا علوم شتى نشتغل بتحصيلها ونسميها العلوم الاسلامية وانما سميت بهذا الاسم لان موضوعاتها لها علاقة بدين الاسلام كالفقه وأصوله وهو علم يبحث فيه عن طرق استنباط الاحكام من أدلتها وكعلم التوحيد وهو علم اسلامي يبحث فيه عن وجوده تعالى وصفاته الكمالية ثم العلوم النقلية كالتفسير والحديث واللغة والنحو والمعاني والبيان والبديع وما سمي علم الوضع

ومن هذه العلوم وسائل ومقاصد ونحن مشتغلون بجميعها وسائل ومقاصد . ولا حاجة الى الكلام في تبيين طرق الاشتغال بها عندنا وعندكم . انما الكلام في أمر عام معروف عند الجميع وهو طرق تحصيل هذه العلوم

(علم النحو وتدريسه)

فالنحو مثلا يدرس بتونس بكتب التي تقرأ بمصر كالقطر والاشموني والصبان وله غايتان . الاولى التمكن من فهم كتاب الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام وكلام سلف الامة . والثانية اصلاح اللسان من الخطأ . نشتغل بعلم هذه القواعد في هذه الكتب ثم نشغل أنفسنا بالبحث في عبارة المؤلف هل تدل على ماقصده . فقائل يقول نعم ، ويأتي قائل آخر يقول لا .

وقائل ثالث يرجح قول نعم، ورابع يرجح قول لا. ونحو هذا مما تروونه في التقارير المكتوبة على الحواشي ويطول بذلك الزمان، وتضيع الفائدة، وينصرف الذهن عن القاعدة، ثم بعد الفراغ من العلم لا يجد الطالب تقويما في لسانه ولا صحة في تحريره ولا قدرة على فهم ما جاء في كلام العرب أو في كتاب الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم. ويزيد الامر صعوبة طريقة الابتداء التي اختاروها في تدريس النحو فإن الاستاذ يبادئ الطالب وهو لا يعلم شيئاً من اصطلاحات العلم بتحقيق المسائل وتفتيشها كما يقولون كأنه عريق في العلم، ولا يراعي مقدار استعداده للفهم. وقد وقع لي أني مكثت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئاً من شرح الكفراوي على الآجرومية فحملني عدم الفهم على الهرب من طلب العلم لتمكن اليأس من نفسي ولكن لأمر أراده الله قهرني والدي على الرجوع الى الطلب فهربت في الطريق ولكني صادفت في مهربي من علمني كيف أطلب العلم من أقرب وجوهه فذقت لذته واستمررت في طلبه. فعلى الاستاذ أن يكون بيده ميزان يزن به ذهن الطالب ودرجة استعداده لقبول مايقول، فيجب على المدرس أن يتنازل مع المبتدي الى درجته ثم يرتقي به شيئا فشيئا حتى يصل الى الدرجة التي يتمكن فيها من ادراك دقيق المعاني. وهذا الفن — فن معرفة درجات الاذهان وكيفية الاستفادة — فن مخصوص تستلزم قراءته ست عشرة سنة اذا كان شرح المطول يحتاج في قراءته الى ثمان سنين، ومن أنفق أوقاته في هذا الفن الذي ألفت فيه الكتب وبسطت فيه الأفكار فإني أضمن له ثوابه عند الله تعالى أضعاف أضعاف ثواب من يختم اقراء المطول لأنه يرشدنا الى الغاية التي طالبنا الله بها

﴿ علم المعاني والبيان ﴾

(والغاية منه)

علم المعاني والبيان علمان يبحث فيهما عن البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فما هو ذلك المقتضي؟ نجد الناظر في هذا الفن او المعلم له يقول هل تحقق البلاغة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال في الجملة ام لا بد من مراعاة جميع مقتضيات الاحوال؟ فإن كان الاول تكلف بعد بليغاً من لم يراع الحال كما ينبغي وهو يعلم أنه غير مراع له. وان كان الثاني فلا تختلف طبقات البلاغة ولا يكون لها أعلى وأسفل. ويطول البحث ويكثر الجدال في ذلك وينصرف الذهن عن البلاغة نفسها ولا يجد الباحث مايرده اليها

وهكذا نجد البحث يطول في الطالب الى حد يشغل الذهن عن الغرض المقصود . مع أنه لو قال الاستاذ: البلاغة صفة في الكلام تبلغ المتكلم مراده من نفس السامع على قدر طاقته ثم انها تكون بمراعاة حال المخاطب وذلك ينقسم الى قسمين مايتعلق بفهم الكلام ومايتعلق بالمعنى الذي سيق له الكلام فما يتعلق بنظم الكلام هو موضوع علم المعاني: ثم يتطرق في بيان ذلك وتقرير المعاني التي سماها الامام عبدالقاهر الجرجاني واضع هذا الفن معاني النحو . أما القسم الثاني وهو حال المخاطب بالنسبة الى المعنى الذي سيق له الكلام فتوقف معرفته على أمور كثيرة ومعارف جمة يتوصل بها الى معرفة طبائع الاشخاص ومداخل المعاني الى قلوبهم فمن أراد أن يقنع مخاطبه بعقيدة مثلا فعليه أن ينظر فان كان المخاطب ممن لايقنع الا بالبرهان فعليه أن يقيمه له وان كان ممن لايدرك البرهان ولكنه يقنع بالمسلمات مثلا سلك معه تلك السبيل ولا يكون بليغا الا اذا لاحظ ذلك مع ما يتعلق بالنظم : لو سلك الاستاذ هذا المسلك لجمع المعاني الكثيرة الى ذهن الطالب ووجه نفسه الى النهاية المطلوبة منها ثم انه بعد ذلك كله لايعد معلما للبلاغة الا اذا وجه فكر الطالب الى ممارسة كلام العرب ونسج في التحرير والتعبير على منوالهم حتى تحصل له ملكة البلاغة ويصل الى الغاية من علمه . فان غاية هذا العلم تشمل كلا أمرين الاول أن يكون الطالب فصيحاً بليغاً فيما يكتب او يخطب. والثاني أن يقيس بلاغة البلغاء ببلاغة القرآن فيدرك حقيقة الاعجاز. وهذا الامر الثاني هو في الحقيقة ثمرة الامر الاول فان من لم يكن بليغاً بالملكة والعمل لايمكنه أن يميز بين طبقات البلاغة

﴿ اسهل طرق تعليمه ﴾

سئل الاصمعي أي الرجلين اشعر مسلم ابن الوليد ام ابو نواس؟ فحكم لابي نواس. فقيل له ان اخاك ابا عبيد يحكم لمسلم بانه اشعر فقال: ان ابا عبيد يروي الشعر ولكنه لم يكابد مشقة العمل في صناعته فليس اهلا للحكم : وهذا قول حق فان من لم يذق لم يعرف . واما مايظن من انه يتيسر للطالب بعد معرفته اصطلاحات علم المعاني ان ينظر في كتب التفسير كالكشاف مثلا ويعرف مايقول الكشاف في وجوه بلاغة الآية وبذلك يكون ممن عرف بلاغة القرآن واعجازه فليس من كلام المحصلين لانه لو كفى ذلك لما كانت حاجة الى صرف الزمان الطويل في تحصيل علم المعاني. بل كان لنا ان نقول ان القرآن

معجزة لان صاحب الكشاف قال انه معجز وننتفع بزماننا في تحصيل ما هو انفع وذلك مما لا يعقل . ورب قائل ان المتكلم اليوم يقول ذلك من قبيل من يأمر غيره بالبر ولا يأتمر به فقد عرض بنفسه جزافا بالقاء خطبة على أناس لا يدري اخلاقهم ولا يدري ما يقولون بعده ولا يعرف مواضع الخطاب من أنفسهم . فالجواب نعم لم أقف على هذه الامور تفصيلا ولكن مدة اقامتي بهذه الحاضرة كانت مدة اجتماع بافاضلها وعلمائها وبذلك حصلت لي خبرة اجمالية فخطر ببالي ان ألقي جملة فيما يطابق مقتضى الحال . وفي ظني ان ما اقوله إن لم يقع موقعا حسنا من نفوس جميع السامعين فلا أقل من أن يستحسنه بعضهم وذلك يكفيني في مطابقته لمقتضى الحال

اختلط علينا الامر بالنظر في المعاني الاصطلاحية وكثرة البحث فيها وانقلب الغرض منها الى مصاب نزل بنا في علومنا وعقولنا فانصرفنا بها عما طلب منها . وهذا يلزمنا ان نأخذ مأخذا في العلوم يسهل تحصيلها وييسرها على الطالب . وفي ظني انه اذا هذبت طرق التعلم لطالب علم البلاغة مثلا أمكنه ان يبلغ الغاية منه في ثلاث سنين . وكذلك من أراد بلوغ الغاية من النحو لا يحتاج الى أكثر من ذلك بحيث يصدر الطالب بعد هذا فصيحاً بليغاً مميزا بين طبقات البلاغة شاعرا يعني اعجاز القرآن قادرا على فهم ما جاء في كلام السلف والانتفاع به فيما يصلح معاشه ومعاده

وجملة القول ان الغاية من هذه العلوم العربية هي ان يبلغ المرء بالتعلم مبلغا كان عليه العربي بالسليقة وهذا يحصل بما قدمناه

ومما يلزم التنبه له في التعليم انه من حق الانسان ان يفتح للطالب باب النظر بنفسه في العلوم فيبين له القاعدة مثلا ثم يطالبه بما يراه في انطباقها على جزئياتها في العمل فانه اذا عوده على ان يقول له كل شيء وان يقوده في كل أمر وقف ذهنه عند حد الاتباع وصعب عليه ان يحقق امرا بنفسه فعليه ان يطالبه بالعمل دائما ويعلمه طريقة معرفة الخطأ والرجوع الى الصواب . وهذا هو ما يطلب من الدرس بين يدي الاستاذ حتى تحصل ملكة التمييز . اما الوصول الى غاية الكمال في العلم بقدر الامكان فأمر موكول لاجتهاد الطالب بعد مفارقة الدرس . ووقوف ذهن هذا المنقاد في كل شأن عن معرفة الامور بنفسه من الامور المحسوسة في ذلك اني لما جئت هذا البلد كنت امر من

طريق قصيرة من محطة سكة الحديد الى البيت ذهابا وايابا ولكن مصحوبا بالسيد خليل بوحاجب وقد رأيت أمس اليوم ان أذهب الى المحطة راجلا فبعد ان مضيت في طريقي خطوات قيل لي ان هذا ليس هو الطريق الى المحطة فرجعت الى طريق أخرى وطال عليّ السير حتى صعب عليّ الرجوع الى المنزل لتشتت الطرق عليّ واضطررت الى سؤال بعض المارة عن المحطة فدلني عليها واذا بينها وبين البيت الذي خرجت منه ثم بعد عودي الى البيت خرجت ماشيا مرة اخرى بعد نحو ساعة فاهتديت الى طريق المحطة ولكن وقع لي اشتباه على مقربة منها . ولم تزل الشبهة الا بسؤال مار . أما بعد ذلك فاني لا أضل في هذه الطريق أبدا . فالعصمة من الضلال انما تأتي في الحقيقة من عمل العقل وحده مع الاستعانة بما أرشد اليه المرشدون الراشدون

﴿ الغاية من علم التوحيد ﴾

ومن العلم ما يكون العلم والعمل به واحدا كعلم الكلام فان المقصد منه انما هو تحصيل اليقين بمسائله كثبوت الوجود لله تعالى وصفاته الكمالية التي ورد النص باثباتها لله ودفع شبه الملحدين الذين ينكرون ثبوت شيء منها وثبوت بعثة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين . فهذا العلم ان جرينا في تعلمه على التقليد في الدليل كالتقليد في النتيجة واكتفينا بفهم ما جاء من الادلة على ألسنة من كتبوا فيها أعرضنا عن الغاية من وضعه لان اليقين لا يحصل بقراءة الادلة وخزنها في الاذهان وانما يحصل بالاستدلال الصحيح وإدراك العقل وجه الدلالة من نفسه بدون تقليد وانما يعد النظر في دليل المستدل السابق معينا ومهيئا للعقل الى تصحيح النظر . فالطريقة التي يجري عليها اغلب المعلمين ليست من غرض علم الكلام في شيء . ومن الناس من اذا سألته في أمر يتعلق بعقيدة من العقائد فاجأك بقوله : لا تقل ذلك فتكفر او تزل : أو ما أشبه ذلك وهو سلاح يتخذه المرتابون في عقائدهم ترسا يدفعون به ما يخشون من الشبه التي تزلزل عقائدهم ولكن هذا الدفاع يدل على ارتياب صاحبه في عقيدته قبل الدفاع فان صاحب اليقين يرتاح الى كل ما يسمع فان وجد عند مخاطبه شبهة أمكنه ان يزيلها من نفسه . وتلك الطريقة من طرق الدفاع عن العقائد هي التي اغلقت دون المسلمين أبواب العلم فانه كلما لاح نور إلهي في يقين الطالب يهديه الى طلب الحق وجد من هذه الكلمات كالاعتزال والفلسفة ما يخمد ذلك

النور فيه . ومن سوء الاستعمال في تعليم هذا العلم ان يعلم الطالب متن السنوسية مثلا وهو لم يحصل شيئا من مبادي العلوم . فيقال: ان الحكم العقلي ينقسم الى ثلاثة أقسام الواجب والمستحيل والجائز ثم تقرأ له هذه الاقسام بالتعاريف الاصطلاحية وهو على جهل تام بما يعده لفهم معنى الحكم فضلا عن أقسامه فيضطر الطالب الى حفظ هذه الالفاظ بدون ان يحصل من معناها الاعلى خيالات لاتنطبق على حقيقة

وقد قال المتقدمون انه لاينبغي ان ينظر في علوم الكلام الا بعد تحصيل مقدماتها والاستعداد لفهم طرق الاستدلال حتى لايضل الطالب بالنظر فيها وهو على جهل من وسائل فهمها فاللازم الاخذ بأحد أمرين إما ان يستدل الناس بالاكوان على مكونها وبالآثار على المؤثر فيها لينالوا بذلك اليقين فيما يعتقدون كل على حسب استعداده . فالعامي مثلا يستدل بما بين يديه من نبات وحيوان على حسب ما يظهر له في نظامها والسيد علي الرضا يكتب كتاباً في التشريح يقول في آخره انه عرف بذلك وجود الله وانه المنفرد بالتصرف في هذا الكون . وإما أن يعلم علم الكلام على طريقة تكفل الانتفاع به في الوصول الى اليقين الذي لايقبل التزلزل والايمان الذي يملأ القلب خشية من الله ورجاء به وخضوعا له .وأما طلب هذا العلم بمجرد قراءة كتبه ومعرفة مادلت عليه عبارتها فقط فهو في الحقيقة مما يصد عن اليقين ويبعد عنه خصوصاً اذا خاف الناظر من ان يقال انه فيلسوف أو معتزلي أو ماأشبه ذلك فانه لايقين مع التحرج من النظر وانما يكون اليقين باطلاق النظر في الاكوان طولها وعرضها حتى يصل الى الغاية التي يطلبها بدون تقييد كما هدانا الله الى ذلك في كتابه فانه يخاطب الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد ووقوفنا عند حد فهم العبارة مضر بنا في العلم ومناف لما كتبه أسلافنا وما تركوه لنا من جواهر المعقولات في الكتب النفيسة المستودعة بخزائننا التي أصبحت اليوم أكلة للسوس وفراشاً للاتربة لاتمد أيدينا اليها لنستلبه منها أو لنزعج السوس عن أكلها واتلافها . أنفس مافيها فر من بين أيدينا ورصعت به خزائن أمم أخرى أصبحت الآن تمت بأمم النور ولو طلبناها لم نجدها . وربما اعتذر الطالب عن قبول النصيحة بأنه لامناص له عن صرف الزمان في قراءة المطول ونحوه مثلا لأن غيره (ككتاب الصناعتين) ليس مما قرره القانون أو لان الاستاذ لايريدهم ولانه ينبغي

ان يكون عالما مشهوراً ولن يكون كذلك في نظر العامة الا اذا قرأ المطول بحواشيه في المدة المعلومة أو في أطول منها ولكن هذا لا يصح عذراً ولست أريد بنفي العذر ان أحمل الطالب على عصيان أستاذه أو حرمانه مما يطلب من الشهرة بين قومه بل أريد ان أنبه الى سلوك طريق وسط وهو ان يجمع بين الحضور في درس الاستاذ وتحصيل حقيقة العلم فبطالع درس الاستاذ ويضم الى ذلك مطالعة شيء من الكلام البليغ وتحرير ما ينسج على منواله في تحصيل الملكة المطلوبة

ولقد عرض لي ما يعرض للطلبة اليوم وكنت أتمنى ان أبلغ من الشهرة ما بلغه غيري فحضرت درس تلك الكتب مع اشتغالي باستكمال ما أردت من العلم . على ان طلب الشهرة في العلم انما هو عند شعور النفس بشيء من الغرور . فاذا أدركت حقيقة العلم نسيت شهوة الشهرة وأدركت انها بمنزلة من الجهل تقضي عليها بتحصيل العلم للعلم والعمل به في سائر الاوقات وعلى أي الحالات

للطالب أو الاستاذ ان يستفيد من هذه البدع التي يراها جديدة ويقول انها بدع مخالفة لسنة السلف الصالح التي لا نريد ان نغيرها لأنها لو لم تكن مفيدة لما سنها أسلافنا فما لنا الا اتباعها وعليه يكون مثلي كمثل ذلك المغني على مسمع جماعة من الاعاجم بكلام مجنون ليلى الى طلوع الفجر فقيل له : بالله عليك غن لنا غير ليلى ومجنون : فقال ان الغناء كان في ذلك : قالوا ولماذا لم تعلمنا من قبل حتى نفرح : ذلك ان الطريقة التي نشير بها هي طريقة أسلافنا الاقدمين فالعود اليها احياء لسنتهم وعمل بآثارهم فلما كان أسلافنا حاجرين في تعليمهم على تلك الطريقة القويمة كان نور العلم يضيء لهم سبلهم الى سعادتهم في معاشهم ومعادهم وكانت الأمم التي تعد نفسها اليوم حاملة مصابيح العلم تستضيء بنورهم

يقول القائلون : ان طلب تغيير الطرق اعتناء بالجديد ولوع بالبدع أو نزوع لها : وليس الامر كذلك فان الجديد والبدعة هو ما نراهم عليه وقد ظهر أثره وعم ضرره فالقديم الحقيقي هو ما ندعو اليه ولا نجاح لنا الا بالتعويل عليه

التوكل

بقيت مسألة نبهنا عليها في أول الامر وهي ان الواحد منا اذا لاح في ذهنه نور إلهي يرشده الى طريق العمل بأمر ما فمن يقول له : ان الحالة الحاضرة هي ما قدر الله لا حيلة لنا فيها فالامر

متوكل على الله مسير بحسب القدرة فعلينا بتسليم أمورنا اليه تعالى والتوكل عليه: وبذلك يطفئ النور الذي لاح بذهنه وبعد ان كان خطر بباله داعي العمل، ينزع الى البطالة والكسل، والعجب انهم يظنون هذه الوساوس من العقائد الدينية ولكن الدين يتبرأ منها وما للدين عدو أضر من أمثال هذه الاعتقادات

ترى النبي صلى الله عليه وسلم وهو امامنا وقدوتنا المابعث في دياجير الجهل وتحكم سلطان الشرور وقبائح العادات في الامم التي ارسل اليها لم يقل ان ذلك ما أراده الله ولم يسلم امره للقدر بترك العمل وكذلك الصحابة رضي الله عنهم أصابهم من الآلام في السعي ما أصابهم مع انهم أشد الناس توكلا على الله واكملهم تمسكا بالقدر في طريق الحق فاذا كانوا قدوتنا كما هو الحق فلماذا لانقتدي بسيرتهم وننبذ وساوس المبطلين، وهذيان السمي والمغفلين، والله تعالى قد دعانا الى طريق الحق والتواصي بالحق وبالصبر وحملنا على ذلك «ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» فالذين فقدوا التواصي بالحق والصبر هم بلاشك خاسرون

الاحتجاج على ترك العمل بالقدر من عقائد الملحدين. وقد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والنعي عليهم فيه. وقد حكى انما كانوا يقولون من نحو «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء» فلا يسوغ لاحدنا وهو يدعي انه مؤمن بالقرآن ان يحتج بما كان يحتج به المشركون. من يزعم انه متوكل من المتظاهرين بالصلاح فهو كاذب زنديق لانه انما يدعي التوكل اذا طولب بأمر فيه مشقة عليه او يجد في نفسه عجزا عنه لاسيما اذا كان في مصلحة عامة فهو يرضى بما يجد. فاذا رجع أولئك المتبلون الى منافعهم الخاصة لم تجد للتوكل في نفوسهم أثرا فهم يغشون ويخادعون ويحتالون لتحصيل ما به يعيشون، او ما به على الناس يظهرون. وحينئذ لايرجعون الى التوكل فهم كذبة لايصح الاقتداء بهم. وكفانا قدوة وخير اسوة سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم فانه كان على شدة توكله واعتصامه بالاستعانة بالله جل شأنه لايفتر عن العمل في الدعوة الى الحق وحمل الناس عليه.

يحتج بعض الناس على كسلهم بقوله صلى الله عليه وسلم «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (١)» ويفسرون ذلك بانسا لو ألقينا أثقالنا على

(١) رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه وغيرهم

الله وتركنا أسباب عيشنا في كسبنا وما كلنا وطبخنا ومرقدنا لرزقنا كما رزق الطير ولكن هذا الفهم خطأ بعيد عن المعنى المراد ولولا ذلك لقال صلى الله عليه وسلم لرزقكم كما رزق الطير تلبث في أعشاشها وتفتح أفواهها فتصبح خماصا وتمسي بطانا. يظنون أن هذا الحديث حث على البطالة وترك العمل مع انه جاء للحث على العمل. والكلام في معنى حق التوكل ظنوه ترك السعي بالمرة وهو خطأ محض فالمراد من حق التوكل ان يعتمد الانسان على الله سبحانه وتعالى مع اتباع سنته التي سنها في الطلب فيحصل الطالب من أسباب مطلوبه ما جعله الله سببا ويدقق النظر في ذلك ماشاء حسبما طالبه الله تعالى به . ثم بعد ان يستعمل الاسباب يناجي ربه بسره : ان قد أتيت بما في استطاعتي على مقدار ما وهبتني وما بقي مما لا أعلم ولا أملك فهو في يدك فاغنني بقدرتك ولا تحرمني معونتك : ثم يمضي في عمله. هذا هو حق التوكل. وقد أشار اليه صلى الله عليه وسلم في قوله . تغدو خماصا وتروح بطانا. فانه أراد بذلك ان الطير انما تسير في تحصيل معاشها على الالهام الذي أودعه الله فيها . الهمها معرفة الاماكن التي فيها أقواتها كما ألهمها الغدو الى تلك الاماكن لتصيب أقواتها منها فهي تعمل بارادتها على ذلك الشعور الذي منحه الله اياها. فحق التوكل لا يتم لنا الا بأن نجري في أعمالنا على ما يقوم عندنا مقام الالهام عند الطير. والذي يقوم عندنا مقام الالهام هو العقل. فلا نكون متوكلين حق التوكل حتى نستعمل نفوسنا في الوسائل التي توصلنا الى بلوغ الغاية من أعمالنا وان نجيد الاستعمال حتى لا يقع لنا ضلال في طرق الوصول الى المقصود. فالاعتماد على الله بهذه الطريقة كافل نجاح الاعمال

(الخاتمة) وبهذه الوسائل يسهل علينا التوفيق بين السعي والتوكل لا سيما في تحصيل العلوم وهي كثيرة وأولاها بالتقدم فيما أعتقد علوم لساننا العربي فان اصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لاصلاح عقائدنا ، وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال اسلافهم في اللغة العربية الفصحى من ذخائر العلم وكنوز الادب ما لا يمكن الوصول اليه الا بتحصيل ملكة اللسان ولا تحصل هذه الملكة الا بالعناية بتحصيل علومه على الوجه الذي سبق بيانه من الجمع بين معرفة القواعد من أسهل طرقها بدون التفات الى عبارات المعبرين وبين العمل بالقول والقلم حتى يملك الطالب من اللسان ما كان يملكه العربي بسليقته وبدون ذلك لا نصل الى فهم أسرار شريعتنا بل تسد في وجوهنا طرق الوصول الى الحقيقة منها

فعلى كل من له غيرة على ملته ان يبذل ما في وسعه لتسهيل طرق تعليم اللغة وتحصيل الملكة فيها

قولا وكتابة حتى يتكلم بها غالب أهلها ويكتبوا بها بالطريقة الصحيحة لان في انحطاط لغتنا انحطاطا لنا ولديننا وعقائدنا وأخلاقنا وانحطاط ذلك مفسد لجميع أمورنا

أقول قولي هذا ولا أريد به إلزام سامعه بقبوله والا خالفت ما أدعو اليه من استقلال الفكر وحرية الرأي . على أني لا أظن ان في السامعين من يلتزم به لو طلبت إلزامه . ولكنه رأي اعرضه على مسامعهم فان وجده السامعون صوابا أخذ به والا فانه لم يخسر شيئا سوى احتماله مشقة الحر في هذا المجلس وهو قدر مشترك بيني وبينه والله يوفقنا الى اصلاح أحوالنا في معاشنا ومعادنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

آثار علمية أدبية

(دلائل الاعجاز)

(اللغة وقوانين اللفظ والنظم): اللغة ملكة لسانية . والملكات انما تكون بمزاولة العمل . فمن زاول كلام قوم زمنا طويلا تصير لغتهم ملكة له ينطق بها بغير تكلف . والملكات تتفاوت في أفراد من تكون لهم فمنهم من يكون أملك بالشيء يخلق واملا به يداً ويكون العمل به كما تمتطي الريض الذلول . ومنهم من لا يملكه الا كما يملك الخادم البليد ، يريده على شيء فيذهب في غير ما يريد . وتسمى ملكة اللغة في الاول فصاحة وبلاغة ، وفي الثاني عيا وفهاهة .

ثم ان كل شيء يتفق فيه كثيرون كاللغة لابد أن يكون منضبطا في نفسه بطرق معروفة لهم بالسليقة المكتسبة بالمزاولة اذ لو ذهب كل واحد مذهبا في القول لا يتفق مع مذاهب الآخرين لما تيسر التفاهم بالتخاطب ، وما كان كذلك يسهل ان توضع له قواعد وقوانين تعرف بها تلك الطرق السليقية بوجه كلي يعين على فهم الجزئيات ومعرفة ما عساه يطرأ على ذلك الشيء مما ليس منه في خصائصه التي امتاز بها . ولكن ما ينضبط به الشيء في نفسه لا يشمل في العادة العامة جميع جزئيات ذلك الشيء الا اذا تواطأ قوم محصورون على وضع قوانين كلية وأخذ الجزئيات منها بالاتفاق بينهم ولم يكن وضع اللغة كذلك ولهذا كانت القوانين التي وضعوها للعربية شاملة لاكثر الكلام